

أثر المدرسة الاستشراقية الإنجليزية في الادب العربي "رينولد نيكلسون" أنموذجا

The impact of the English Orientalist school on Arabic literature

"Reynold Nicholson" as a model

السعيد قوراري*

جامعة أم البواقي (الجزائر)

gourarisaid04@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2025/02/02	تاريخ التقييم: 2025/05/24	تاريخ القبول: 2025/06/04
---------------------------	---------------------------	--------------------------

الملخص:

إن أهم ما يميز المدرسة الاستشراقية الإنجليزية هو الدقة والعمق، وتعد من أكثر المدارس صلة بالشرق، وبالأخص الشرق الأقصى و الأوسط، والملاحظ أن لبريطانيا علائق قوية جدا بالشرق، وهذا عن طريق التواصل الثقافي والسياسي والعسكري والاقتصادي، كما أن المدرسة الإنجليزية على صلة وثيقة بمنطقة الخليج والعراق وفلسطين ومصر، دون أن ننسى المنطقة الهندية. هذه الأخيرة لها إرث عريق، كما أنه لا يمكننا أبدا أن نغفل أهمية تلك البلاد الهندية في إثراء الفكر الإسلامي. وجاءت اهتمامات المدرسة الإنجليزية بالمناطق التي تبسط عليها السيطرة، من أجل فهم إسلام كل منطقة على حدة، دون أن ننسى مكوناته وفكره وتراثه وقضاياه. وكان المستشرق الإنجليزي رينولد نيكلسون قد استهواه الاستشراق بداعي الرغبة في الاطلاع على ثقافات الشعوب والبحث عن الحقيقة سواء في ميدان العقيدة أو ميدان العلم. وهذا الصنف يلاحظ عليه أنه يتحرر من الأهواء والميول ولا يعتمد إلى التحريف ونتائجه التي يصل إليها تكون أكثر موضوعية وأكثر دقة. كما أنها تتسم بالأمانة العلمية. كلمات مفتاحية: المدرسة الاستشراقية؛ التواصل؛ الفكر الإسلامي؛ الاستشراق؛ العقيدة.

Abstract :

English Orientalist school issues are significantly distinguished by accuracy and depth, the fact that makes it more correlated to East, mainly Far and Middle East with which Britain has very strong relations through cultural, political, military and economic communication. Accordingly, English school is also closely related to the

Gulf region, Iraq, Palestine, Egypt, and the Indian region as well. This latter has a rich legacy that we can never ignore its importance in enriching Islamic thought. Besides, English school's interests in the areas under its control aims at understanding the idea of Islam in each region separately, focusing on its components, thought, heritage and issues. The English orientalist Reynold Nicholson then, was attracted to Orientalism in order to learn more about societies' cultures and look for the truth whether in belief or science the way that makes him free of whims and inclinations and not to resort to distortion. This can actually be noticed in his academic integrity as well as objective and accurate results he reaches.

Keywords: Orientalist school, communication, Islamic thought, Orientalism, faith.

*المؤلف المراسل:

1. مقدمة:

عرف العالم منذ قرون ممتدة عديد التغيرات والتحديات نتيجة للصراعات الكثيرة التي ميزت مسيرة المجتمعات الإنسانية، الأمر الذي أدى إلى إيجاد لغة تتواصل فيما بينها. بغض النظر عما إن كان التواصل من أجل الحوار أو بغية التحكم والاستعمار.

كما أن الاستشراق يدل على اتجاه واحد ووحيد، وهو الوجهة نحو الشرق، ولا يهتم بالبحث في أمور الشرقيين وحضاراتهم وتاريخهم وثقافتهم الذي يتمثل في إجراء دراسات مختلفة عن الشرق الإسلامي وغير الإسلامي، كما تعود العلاقة بين الشرق والغرب لعصور خلت، وهذه العلاقة نجدها تختلف باختلاف العصور حسب الدواعي سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو استعمارية كما ولد الاستشراق صورة لدى الغرب عند الشرق، أي صورة لدى الأنا الشرقي عن الآخر العربي، كما أن العديد من المستشرقين عملوا على إصدار مؤلفات عديدة عن المجتمع الشرقي، حيث لا تكاد تخلو مختلف مكتبات العالم من قسم اللغة العربية وآدابها، وهذا إن دل على شيء وإنما يدل على مكانة الحضارة العربية وأهميتها الاستراتيجية، دون أن ننسى الأدب الجاهلي لكونه مرآة عاكسة لحياة العرب وعاداتهم. وعليه اعتمدت في هذه الورقة البحثية على استخدام المنهج التاريخي بمختلف آلياته الوصف، والتحليل.

أما أهم الأسئلة التي تطرح نفسها، فهي: ما مفهوم الاستشراق؟ ماهي أهدافه؟ لماذا كانت المدرسة الاستشراقية الإنجليزية أكثر المدارس صلة بالشرق؟

2. مفهوم الاستشراق:

1.2 لغة:

الاستشراق مصوغ على وزن استفعال. أخذت من الشرق وأضيف لها ثلاثة حروف (الهمزة، السين، التاء) أي طلب علم الشرق.

ومما جاء عند ابن منظور في لسان العرب، شرق أي شرقت الشمس تشرق شروقاً وشرقاً طلعت، واسم الموضع المشرق، وكان قياس المشرق.

أما التشريق: فهو الأخذ في ناحية المشرق، ويقال شتان بين المشرق والمغرب، وشرقوا، ذهبوا إلى الشرق أو أتوا إلى الشرق.¹

أما في قاموس المحيط فقد جاء الشرق، أشرقت الشمس... أسفارها وشرقت الشمس شروقاً، أي طلعت.²

ويرى "إسحاق موسى" أن كلمة الاستشراق استعملها المحدثون من ترجمة لكلمة "Orientalism" ثم استعملوا من الاسم فعلاً، فقالوا "استشراق"....³

وبناء على ما سبق، يتضح لنا أن المعاجم العربية القديمة أخذت مفهوم الاستشراق من لفظة الشرق، لأن المصطلح كان غير معروف آنذاك.

أما المعاجم العربية الحديثة. فنجد في المنهل: جاءت لفظة شرق ومستشرق، مقابلتين لللفظة الفرنسية "Orientaliste" "Orienet" لوصف أهل الشرق أو الشرقيين "Olientel" وهي

الشرقي أما الاستشراق "Orientalisme" التي لها معنى حب الأشياء الشرقية.⁴

كما نجد في المنجد في اللغة العربية المعاصرة لفظة "شرق" تعني: الشرق نقطة أو جهة الأفق التي تطلع منها الشمس على مدار السنة. الشرق البلدان أو المناطق الواقعة في الشرق وتشرق:

صار متشرقاً، استشرق: صار مستشرقاً، اهتم بالدراسات الشرقية "استشرق فرنسي".⁵ ومن هنا نجد أن دلالة كلتا الكلمتين المشرق والاستشراق: في المعاجم العربية الحديثة لا تخرج

عن تلك الموجودة في المعاجم الفرنسية.

2.2 اصطلاحاً:

يجد الباحث نفسه أمام كم هائل من التعاريف. فغالبا ما تتردد على ألسنة الخطباء وفي الصحف وفي المجلات والكتب لفظة استشرق وخاصة عندما يتعلق الأمر عن الغزو الفكري

الثقافي وأثاره السيئة، وقد بالغ البعض في ذم الاستشراق وكل ما يمت له بصلة، على حين يرى البعض ان الاستشراق إنما هو بذل جهد عملي لدراسة الشرق وخاصة بعض الذين تتلمذوا على أيادي المستشرقين"⁶.

والاستشراق هي تلك الدراسة التي يقوم بها الغربيون لكل ما يتعلق بالشرق خاصة الجانب التاريخي واللغوي والأدبي والفني ومختلف علومه وتقاليده وعاداته.⁷

3.2. عند العرب:

يختلف مفهوم الاستشراق عند كل مفكر. فنجد :

ادوارد سعيد الذي قسم المفهوم إلى ثلاثة معان وهي:

أولاً: المستشرق كل من يشتغل بالتدريس أو الكتابة أو القيام ببحوث في مواضيع تتعلق بالشرق، سواء تعلق الأمر بعلم الانسان أو علم الاجتماع أو التاريخ، ويرى ادوارد سعيد أن المتخصصين يستحسنون استخدام مصطلح الدراسات الشرقية.

ثانياً: الاستشراق هو نوع من الأساليب التفكيرية التي تقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يسمى "الشرق" و"الغرب"، وهذا المفهوم تجلى واضحاً في كتابات العديد الشعراء والروائيين والفلاسفة وكذا أصحاب النظريات السياسية والاقتصادية، فنجدهم قد قبلوا ذلك التمييز القائم بين الشرق والغرب لكونه نقطة انطلاق لوضع نظريات منفصلة وإنشاء ملاحم وكتابة روايات، دون أن ننسى تلك الأوصاف الاجتماعية والدراسات السياسية المتعلقة بالرق وعاداته وطريقة تفكيره ومصيره.

ثالثاً: الاستشراق هو أسلوب استعمله الغرب للهيمنة والسيطرة على الشرق وإعادة بنائه والتسلط عليه، فالاستشراق عند ادوارد سعيد هو عبارة عن شبه مؤسسة جماعية يمكنهم بواسطتها التعامل مع الشرق والسيطرة عليه ويخضع لهم. وهو ذلك الوعي الجغرافي و السياسي الموجود في كثير من النصوص العلمية والاقتصادية والاجتماعية والتاريخية واللغوية⁸.

أما أحمد حميد غراب فقد قدم مجموعة من التعاريف منها:

الاستشراق هو دراسات أكاديمية يجريها غربيون كافرون على الإسلام والمسلمين من عديد الجوانب، سواء تعلق الأمر بالعقيدة أو الشريعة أو الثقافة أو الحضارة... وهذا من أجل تشويه صورة الإسلام وبث الشكوك في قلوب المسلمين فيه وتضليلهم عنه ومحاولة فرض التبعية للغرب عليهم، ولم تكتف بهذا فحسب، بل تحاول تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تتبنى

العلمية والموضوعية وتتغنى بالتفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الاسلامي⁹.

بينما يذهب عمر فروخ بأن الاستشراق هو ذلك الاهتمام الذي يوليه علماء الغرب بتاريخ المسلمين وعلومهم ولغاتهم وآدابهم وعاداتهم ومعتقداتهم واساطيرهم¹⁰.

في حين يراه أحمد حسن زيات بأنه دراسة يقوم بها الغربيون لكل ما يتعلق بالشرق من تاريخ ولغة وآداب وعلوم وعادات وتقاليد ومعتقدات واساطير¹¹.

وعند عبد المتعال محمد جبري هو دراسة الغرب لكل ما يحيط بالشرق من أحواله وتاريخه ومعتقداته وبيئاته الطبيعية والعمرانية والبشرية، كما يجري دراسات على لغاته ولهجاته وطبائعه¹².

"ويتطرق محمد الغني حسن لذات المصطلح فيراه بأنه انشغال مهتمين غير الشرقيين بدراسة جوانب كثيرة تخص الضفة الشرقية مثل اللغة والحضارة والفلسفة وكذا أديانه وروحانياته وما لكل ذلك من دوافع في تطور البناء الحضاري للعالم كله"¹³.

3. تاريخ الاستشراق الإنجليزي.

بداية اهتمام إنجلترا بالثقافة العربية كان منذ القرن الثاني عشر الميلادي فقد وفد "إبراهيم بن عزرا" إليها من "طليطة" في إسبانيا فزار لندن عام 1157 ودرس فيها حقبة من الزمن وهو حتى وإن كان يهوديا فإنه قد لقن ثقافته من جامعات الاندلس الإسلامية. كما كان قد وفد "توماس براون" إلى إنجلترا القاضي الذي تخرج في جامعات صقلية الإسلامية، وعمل قاضيا في صقلية في فجر حياته.

دون أن ننسى وفود كثيرين إلى الجامعات الإسلامية من إنجلترا مثل "إدلار أوف باثا" الذي نقل كتاب "إقليدس"، وقد تبعه "وانيل أوف مورلي" ثم حذا حذوهما في القرن الثالث عشر "ميخائيل سكت" الذي عمل على ترجمة العديد من الكتب العربية إلى لغته خاصة في مجال الفلسفة والفلك والكيمياء، وبالتالي كان لهذه المترجمات الأثر الكبير في تكوين جيل جديد من الفلاسفة والأدباء مثل "روجيه بيكون" والشاعرين "تشوسر والدكيت"، وكان هذا كأول دفعة ساقطت أمامها الانجليز إلى تفيؤ الضلال خلال الثقافة الإسلامية، وكان أول كتاب طبع في إنجلترا هو كتاب "كلمات الفلاسفة وحكمهم"، ولقد روعي في تبويبه ومنهجه كتاب "مختار الحكم ومحاسن الكلم" لميشربن فانك المصري سنة 1053¹⁴.

وفي أواخر القرن الثامن عشر كانت جامعة أكسفورد قد قامت بتجهيز مطبعة عربية نشرت عدیدا من المخطوطات النفسية، مما أدى بالأدب العربي أن يحتل مكانة مرموقة لدى

معظم الآداب الذين استوحوا "ألف ليلة وليلة" وغيرها من قصص الشرق التي جعلت للأدب الإنجليزي سمة شرقية، بينما في نهايته كانت حملة نابليون على مصر فدخل الشرق في حيز السياسة الأوروبية.

وفي مطلع القرن التاسع عشر أنشئ بجامعة لندن منصب للأستاذين للعلوم العربية وأسس معهد للغات الشرقية بلندن، وترأس قسم اللغة العربية فيه لأول مرة المستشرق الإنجليزي "توماس أرنولد" (1824-1930) وقد زار مصر أوائل عام 1931 وهو صاحب كتاب "الدعوة الإسلامية" الذي ترجم إلى العربية التركية و...، كما شكلت الجمعية الآسيوية الملكية فكان لها دور في تنظيم حركة الاستشراق تنظيماً علمياً مستقلاً يستهدف الأغراض التبشيرية والسياسية.¹⁵

1.3. المدرسة الإنجليزية:

توصف المدرسة الاستشراقية الإنجليزية بالعمق والدقة وهي أكثر المدارس صلة بالشرق، وبخاصة الشرقيين الأوسط والأقصى، وكانت صلات بريطانيا بالشرق قوية، عن طريق الاتصالات الثقافية والسياسية والعسكرية والاقتصادية وكانت المدرسة الإنجليزية وثيقة الصلة بمنطقة الخليج والعراق وفلسطين ومصر بالإضافة إلى صلتها الوثيقة بالهند، والإسلام في المنطقة الهندية له تراث عريق ولا يمكن إغفال أهمية تلك البلاد الهندية في إغناء الفكر الإسلامي.

ومن الطبيعي أن تتأثر المدرسة الإنجليزية باهتمامات المناطق الجغرافية التي تسيطر عليها، وأن توجه اهتمامها لفهم إسلام كل منطقة ومكوناته وفكره وتراثه وقضاياها، والاستشراق اهتمام بدراسة الشرق وفكره وثقافته، والشرق ممتد على رقعة واسعة، تقطنها شعوب ذات تكوين متباين، متقاتلة متنافسة، على الرغم من أن الإسلام عمل على توحيد الكثير من ثقافة هذه الشعوب وحاول تقريب ما يتباعد من فكرها وعقائدها وقيمها وتقاليدها بفضل ما جاء في تعاليم الدين الحنيف دون أن ننسى وحدة المعايير التي تحكم السلوك الإنساني.¹⁶ وعليه يمكن القول بأنه بقدر ما تتأثر المدارس الاستشراقية بساحة نفوذها وامتدادها وحضورها، فإنها تتأثر كذلك بطبائع الشعوب التي تنتمي إليها المدرسة، فالشعوب مختلفة في تكوينها وليست متماثلة، هذا ما ينعكس على خصائص المدرسة. فالفرنسيون مثلاً ليسوا كالإنجليز في تكوينهم النفسي، فهم شديدي الاعتزاز بأنفسهم وهذا من خصائصهم، فالفرنسي نجده دائماً يميل إلى المبالغة والزوع إلى المثالية ويفتخر بذلك ويظهر انفعاله في المواقف

وعناده في الدفاع عما يعتقده صحيحا، ويبدو أنه عنصري في تعاملاته مع الشعوب التي كانت ترزح تحت السيطرة الفرنسية.¹⁷

2.3. أبرز اسهامات المستشرق نيكلسون:

نيكلسون Reyonold Alleyne Nicholson (1868-1945):

"مستشرق انجليزي يعد أكبر الباحثين في التصوف الإسلامي، ولد في Kelghly في 8 أغسطس 1868، ودخل جامعة أبردين، ثم كلية الثالوث في كمبريدج حيث بدأ بالدراسات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) وبعد بروزه فيها اعتنى بدراسة اللغتين الفارسية والعربية وأصبح زميلا في كلية الثالوث بكمبريدج، لينتقل بعد ذلك إلى كلية الجامعة في لندن كأستاذ للغة الفارسية 1901. لكنه ما لبث أن عاد بعد عام واحد إلى جامعة كمبريدج مدرسا للغة الفارسية.

وفي 1926 خلف ادورج براون على كرسي توماس آدمز للغة العربية وتقاعد قبل بلوغه السن القانونية.

وفي 1940 ترك كمبريدج، وأمضى في حياته في قرية توين Town، وتوفي في شستر في 27 أغسطس 1945.

أما انتاجه العلمي فكان غزيرا، ويدور حول التصوف الإسلامي خصوصا، لكنه اهتم أيضا بالادب العربي والشعر الفارسي.

وفي حديث عن نفسه يرى نيكلسون في إذاعة له أثناء الحرب العالمية الثانية أن المذاهب الصوفية لدى المسلمين وكذا تأملاتهم كان لها تأثير كبير في الإسلام ، وإلى حدا ما، كما أنها بمثابة أرض مشتركة يمكن لعديد الديانات الالتقاء مع بعضها، مع الإبقاء على الإخلاص للديانة الأم.

وكأعظم أعمال نيكلسون هو من غير شك نشرته لديوان "مثنوي معنوي" للشاعر الفارسي الأكبر خلال الدين الرومي، مع ترجمة وشرح في مجلدات (1925-1940) ضمن سلسلة حب. ويتلوه في الأهمية كتابه "تاريخ العرب الأدبي Literary history of the Arabs (1907) وقد ترجم فيه بعض القصائد من العربية إلى الإنجليزية.

وله مقالات عديدة في التصوف الإسلامي نشرها في "دائرة معارف الدين والأخلاق" و"دائرة معارف الإسلام"، وجمع بعضها فسي مجلد بعنوان "دراسات في التصوف الإسلامي" (كمبريدج 1691) ولنذكر منها:

1-"فكرة الشخصية في التصوف"، كمبريدج 1923.

- 2- "الصوفية في الإسلام"، لندن 1914.
- 3- "بحث تاريخي في نشأة التصوف وتطوره"، في مجلة JPAS ص 303-348.¹⁸
- 4- "أهداف التصوف الإسلامي"، في JPAS 1913، ص 55-68.
- 5- "الصوفية"، دائرة المعارف الدين والأخلاق ج 12 (1921)، ص 10-17.
- 6- "سيرة عمر بن الفارض وابن العربي" "كما وردت في شذرات الذهب" لابن العماد"، مقال في JRAS 1906، ص 797-824.
- ولنكلسون قدرة فائقة على ترجمة الشعر الفارسي والشعر العربي إلى الإنجليزية، لجمال أسلوبه وما يسري فيه من نفحة شعرية، ومن أجمل هذه الترجمات نذكر:
- 7- "قصائد مختارة من ديوان شمس التبريز" لجلال الدين الرومي، النص الفارسي مع ترجمة انجليزية، كمبيرج 1898.
- 8- "أسرار الذات (أسرار خودي) لمحمد إقبال.
- أما نشراته المحققة فنذكر منها:
- 9- "نذكر الأولياء للشيخ فريد الدين العطار" في جزئين لندن 1905-1907.
- 10- "اللمع" لأبي نصر الشراج وهو من أمهات الكتب الأولى في التصوف سلسلة جب التذكيرية برقم 26 ليدن، لندن، 1914.
- 11- "ترجمات الأشواق" لابن عربي، تحقيق النص مع ترجمة إنجليزية لندن 1911".¹⁹
- وهو بذلك يعد من المستشرقين الإنجليز الذي أكبوا على دراسة العلوم الشرقية ومنها خصوصاً علم التصوف والشعر، فقد عمل على ترجمة كثير من القصائد من العربية إلى الإنجليزية، وهو أكثر المستشرقين اهتماماً باللغة العربية وآدابها، حيث ذاع صيته في الأدب العربي القديم. وللعلم فإن جده الذي كان من عمالقة وكبار علماء العربية أثر في ميله إلى الدراسات الشرقية.

20

3.3. الشعر الجاهلي عند المستشرقين:

الاستشراق حسب ما نعتقد هو دراسة كافة البنى الثقافية والحضارية التي تجعلنا منفردين عن غيرنا من الأمم الشرقية الأخرى، لكنه يأتي من أولويات هذه البنى الثقافية والجمالية للأدب العربي القديم، هذا الأخير الذي كان له نصيب كبير من هذه الدراسة وخاصة الشعر الجاهلي الذي تعد قراءته استلهاماً لروح العقل العربي قبل الإسلام.

فالاستشراق يرى في الشعر الجاهلي أنه البوابة الرئيسة لوعي وفهم لب الحياة الروحية والاجتماعية والسياسية والحضارية للإنسان العربي والمترجم الصادق الأمين لهويته وأصله.

فالشعر كما يراه ابن قتيبة هو "معدن علم العرب أو مقر حكمتها وديوان أخبارها ومستودع أيامها والصور المضروب على مآثرها والخندق المحجوز على مفاخرها والشاهد العدل يوم النفار والحجة القاطعة عند الخصام..." ولما وجد الشعر بهذه المكانة الشامخة كانت وجهة بعض المستشرقين إلى التعمق في دراسته وترجمته وتحقيقه وفهرسته ولا يستطيع أحد أن يكون جاحدا فيما قدموه من إسهامات ومساهمات متميزة في دراسة الأدب العربي القديم وخاصة الجاهلي منه²¹

أراء المستشرق رينولد نيكلسون في الشعر الجاهلي:

تطرق رينولد نيكلسون إلى قضيتي الشعر الجاهلي وشعر الجاهليين وكل ما يتعلق بعاداتهم وأديانهم . ونجد من أبرز أرائه مايلي:

1- "لا يمكننا الحديث عن أدب العصر الجاهلي أو ما يسمى عصر ما قبل الإسلام، وهذا لأنه لم يكن متوفرا. فالمتوفر حسب نيكلسون في هذه الفترة هو الأدب الشفهي الذي تم حفظه بالرواية ودون وسجل للمرة الأولى بعد ذلك.²²

فما جاء به نيكلسون صحيح ومؤكد في تلك الحقبة من العصر الجاهلي، وهي ما سعي بفترة ما قبل الإسلام، وقد تم الأدب في تلك الفترة نقل مشافهة بالرواية بواسطة الحفظ، ومرد ذلك لدواع وأسباب أبرزها عدم الاستقرار، فالإنسان الجاهلي كان دائم الترحال كما هو معروف، وتم تدوين ذلك الأدب في القرن الثاني للهجرة.

2- الشعر في ذلك الوقت لم يكن ترفا للقلة المثقفة، وإنما كان هو الوسيلة الوحيدة للبوح والتعبير الأدبي، فكل قبيلة لها شاعرها بل شعراؤها وهم الناطقون باسمها وهم لسان حالها يذودون عنها ويتفاخرون بها ويذكرون مآثرها وقد تم كل هذا بكل حرية²³ فالشعر لم يقتصر على فئة دون أخرى بل كان متاحا للجميع للتعبير عما يختلج أنفسهم، وأنه لكل قبيلة شعراء عبروا عن مشاعرهم وأفكارهم.

3- فالشاعر أنعم عليه بمعلومات خارقة للعادة أو هو على صلة بالجن أو الشياطين يركز عليها في القوى السحرية التي يظهرها ويتضح جليا وبشكل عجيب في المكانة التي يحتلها، خاصة في قصة ذلك الشاب الذي رفض ذووه حبيبته تزويجها منه لأنه لم يكن شاعرا ولا كاهنا ولا عزافا²⁴

للشاعر مكانة عظيمة في العصر الجاهلي أنه سلاح القبيلة وهذا ما أشار إليه المستشرق نيكلسون فالشاعر إذا نبغ في القبلية تقام حفلات فقد ذكر ابن رشيق في باب احتماء القبائل بشعرائها من كتابه لعمدة في محاسن الشعر وآدابه: "كانت قبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأته، وصنعت الأظعمة واجتمع النساء يلعبن المزاهر".²⁵

4- بعد أن تحدث المستشرق نيكلسون عن الشعر الجاهلي لجأ إلى أهم أنواعه وهو: الهجاء: ويعتقد نيكلسون أن للشعر قوى كانت تتجلى واضحة في غرض الهجاء الذي كان أقدر ضروبه المعروفة بفتح النزاع القبلي ويصاحبه وهو عنصر من عناصر الحرب الخطير كالقتال الفعلي ذاته، وكان المعتقد أن التهديدات التي يقذف بها العدو قتالة لا مناص منها وقوافيه التي كثيرا ما كانت تقارن بالسهم كان لها تأثير اللغة المقدسة يتوفه بها نبي أو كاهن ملهم من السماء".²⁶

فقد وضع نيكلسون أن الهجاء كان من أهم الألوان الشعرية في الشعر الجاهلي وهو "تعداد لمثالب المرء وقبيلته ونفي المكارم والمحاسن عنه وهو ضد المدح"²⁷. فهو يعبر من خلاله الشاعر عن عصبية القبيلة، ويعد من أسلحة القبيلة لما كان للكلمة من قيمة كبيرة عن العرب.

5- السجع: يراه نيكلسون: أن من أقدم أشكال الكلام الشعري في بلاد العرب هو القافية بلا وزن (السجع) أو كما يقول "النثر المقفى"، ولو أن حقيقة كون خصوم محمد (ص) قد سموه شاعرا لأن السجع قد ورد في القرآن تزيينا النظرة التي كان ينظر بها إليه حتى بعد اختراع الوزن وإحكامه، وقد أصبح للسجع فيما بعد مجرد حلية بلاغية".²⁸

صحيح ما جاء به هذا المستشرق فالسجع هو الكلام المقفى وهو مصطلح عرف في البلاغة العربية يقول المبرد "السجع في كلام العرب بأن يأتلف أو آخر الكلام على نسق كما تأتلف القوافي".²⁹

عرف في العصر الجاهلي على شكل سجع الكهان وعرف في القرآن الكريم أيضا في بعض السور القرآنية خاصة الصغار منها.

6- الرجز: يرى نيكلسون: أن للسجع دور كبير في تطور أقدم البحور العربية المعروف بالرجز وهذا الأخير غير منتظم ويتألف عادة من أربع إلى ست تفاعيل، ويعدها العربي تفعيلتين أو ثلاثا في البيت الواحد، ومن خصائص الرجز التي توضح قرابته من السجع أن الأشرطة كلها مقفاة بينما في البحور التي توضح قرابته من السجع أن الأشرطة كلها مقفاة بينما في البحور الأكثر فنية لا تجد التقفية إلا في مصطلح من خصائصه أيضا أنه ينشد ارتجالا³⁰

فنيكلسون يقرب بأن الرجز أصله السجع وهذا رأي أغلب المستشرقين، فهم يرون أن الرجز هو القاعدة الأساسية في نشأة كل الأوزان العربية وبعد ذلك تطورت البحور الشعرية، فهم يعدون الرجز بمثابة مرحلة انتقالية مفصلية في تاريخ السجع والقصيدة العربية الكاملة الناضجة.³¹

7- البحور الأخرى: نجد العالم النحوي الخليل بن أحمد الفراهيدي قد استنبط قواعد العروض من الشعر القديم ثم قام بترتيبها كما قيل أن الفكرة عرضت عليه وهو بصدد مراقبة التوقيت الزمني لضربات مطرقة نحاس على السندان.³² فالخليل بن أحمد هو أول من وضع قواعد العروض وأسسها وكانت الفكرة من هذا عندما كان يسير بالسوق فكان صوت مطارقهم نغمة أتاحت له وضع وتقسيم بحور شعرية للشعر العربي.

8- حول مكانة المرأة:

يرى نيكلسون أن المرأة آنذاك كانت لها مكانة جد مرموقة وتأثيرها في المجتمع الجاهلي واضح للعيان، كانت لها حرية اختيار الزوج وكان بمقدورها العودة لأهلها إذا تعرضت للإساءة أو اغضبت، كما أنها في حالات أخرى كانت تتولى خطبة الرجل الذي ترغب في الارتباط به، دون أن ننسى حقها في الطلاق، ناهيك عن كونها كانت توجي للشاعر بأن ينظم وللمحارب بأن يقاتل.³³

فالعرب في الجاهلية ينظرون إلى المرأة على أنها متاع من الامتعة التي يمتلكونها مثل الأموال والبهائم ويتصرفون فيها كيفما شأؤوا، وكانوا لا يورثون المرأة حيث يرون أنه ليس لها الحق في الإرث، وكانوا لا يقولون أن لا يرثنا إلا من يحمل السيف، وكذلك لم يكن للمرأة حق في زوجها وليس للطلاق عدد محدود وليس لتعدد الزوجات عدد معين. وكانوا يكنون لها كل البغض، حيث يدفنونهن وهن أحياء خشية العار ثم جاء الإسلام وصحح كل هذه التصرفات السيئة.

وعليه يمكن القول بأن كل ما أتى به نيكلسون خاطئ وليس له أي أساس من الصحة وقد بالغ في وصفه.

9- الأخذ بالتأثر:

في هذا الجانب يقول المستشرق نيكلسون: "وفوق ذلك فإن الدم يستدعي الدم، وقد كان هذا الالتزام ثقيلا على ضمير العرب الوثنيين فالأخذ بالتأثر كاد يكون بالنسبة لهم ضرورة طبيعية فإذا لم يستب لها حرمت صاحبها النوم والطعام والصحة، إذا كان ظلماً معذباً لا

يرويه غير الدم، فهو مرض في الشرف قد يوصف بالجنون... وقد كان الثأر يؤخذ من القاتل إن أمكن وإلا فمن بعض أفراد قبيلته، وكان ذلك في العادة ينهي القضية إلا أنه كان في بعض الأحوال بداية نزاع انتقامي مستمر يشمل أقوياء كلا الفريقين برمتهم، كما حدث في مقتل كليب الذي أدى إلى حرب أربعين عاما بين بكر وتغلب".³⁴

نعم صحيح ما أتى به المستشرق نيكلسون حول الأخذ بالثأر حيث شاع كثيرا في العصر الجاهلي فدم يستدعي الدم كما قال نيكلسون فإذا قتل أحدهم لابد للثأر له سواء من القاتل أو أهله كما حدث عند مقتل كليب أدى إلى حرب أربعين عاما بين قبيلتي بكر وتغلب.

10-المعلقات:

ظهرت أسطورة أصبحت من كثرة التكرار مألوفة وهي تقول أن المعلقات سميت كذلك لأنها علقت على جدران الكعبة لامتيازها الذي أحرزته من المحكمين في سوق عكاظ... فلو كانت هذه الأقوال صحيحة لتوقعنا أن نجد تأكيدا لها في وقت مبكر من تاريخ الأدب، غير أنه في الواقع يذكر شيئا من هذا القبيل في القرآن أو في الأخبار الدينية أو في تواريخ مكة أو في كتاب "الأغاني"..."³⁵

لقد أصاب نيكلسون فيما يخص المعلقات التي عرفت في العصر الجاهلي كذلك لها عدة أسماء منها المذهبات والسموط والجاهليات، العشر الطوال، وقيل أنها كتبت بماء الذهب وعلقت على جدران الكعبة ومن أبرز شعرائها: امرؤ القيس، طرفة بن العبد، زهير بن أبي سلمى، عنترة بن شداد، عمر بن كلثوم، الأعشى، لبيد بن ربيعة وغيرهم.

11-أصل المجموعة (المعلقات):

يقول نيكلسون: "ومهما يكن تفسير لفظة ((المعلقة)) فإن التسمية ليست معاصرة للقصائد ذاتها وأكبر الاحتمال أن الشخص الذي جمعها لأول مرة من بين العديد من القصائد ووضعها في مجموعة مستقلة هو الذي وسمها بهذا الاسم، والمعترف به عموما أن هذا الشخص هو ((حماد الرواية))، وهو راوية مشهور عاش في أواخر الدولة الأموية ومات حوالي سنة 156هـ/772م.³⁶

فقد وفق المستشرق نيكلسون إلى حد بعيد، فالمعلقات هي مجموعة القصائد الجاهلية الطوال، فتسميتها ليست معاصرة ويعد حماد الرواية أول من جمعها، فأقدم ما بقي من مجموعات القصائد الكاملة هو الاختيارات التي جمعها حماد الرواية وقد سماها على غرار عناوين الكتب الأخرى: باسم السموط أو الاسم الآخر المؤلف وهو المعلقات، وأراد حماد من هاتين التسميتين الدلالة على نفاسة ما اختاره.³⁷

12- صعوبة ترجمة المعلقات:

"يجب أن نعترف بأنه ليست ثمة ترجمة للمعلقات بوسعها أن تزود القراء الأوروبيين بفكرة منصفة عن الأصل، وأقلها جميعا الترجمة الحرفية، فالمعلقات تضم الشيء الكثير مما لا يقربه الأذهان إلا الشرح الكامل، الشيء الكثير مما يعد في الذوق العصري غير متفق مطلقا مع الأسلوب الشعري، فجمال صورها عن الحياة البدوية وعاداتها كثيرا ما تبدو غير مهذبة أو مضحكة، إذ يستحيل علينا بغير معرفة وثيقة بالبلد وسكانه أن نرى ما كان الشاعر يرمي إلى التعبير عنه وبقدر صدق تعبير القصيدة وجمالها".³⁸

يصرح رينولد نيكلسون من خلال هذه العبارة عن صعوبة نقل المعاني العربية إلى اللغة الإنجليزية فالترجمة كانت في معظم الأحيان حرفية لا تزود القارئ الأوروبي بجمالية المعاني الحقيقية لهذه القصائد ويؤكد أنه من المستحيل فهم ما يرمي إليه الشاعر دون معرفة وثيقة بالبلد أي دون معرفة الخلفية الثقافية والفكرية لسكان هذا البلد.

13- الرواية المتحولة للشعر القديم:

يذهب نيكلسون أنه كان لا بد من أن تحصل بعض الأخطاء في ظروف ما، فبالإضافة إلى خيانة الذاكرة بلا قصد، وأنه لاريب في أن هناك بعض الحالات التي تعتمد فيها الرواة الخيانة والخداع من دون سوء نية، وكان الإغراء لنحل أبياتهم أو مقطوعاتهم التي أخذوها من مصادر معروفة عندهم. كما كانوا على دراية كبيرة جدا بالشعر وفي مواهبهم الشعرية عامة هذه الدراية فاقت حتى اللغويين الذين قلما كانت لهم أي قابلية انتقادية وإنما كانوا مستعدين ليأخذوا ما يصل لأيديهم مهما كان شأنه.³⁹

وعليه يمكن القول بأن الشعر الجاهلي نقل عن طريق الرواية وهذا ما جعل البعض يشككون في مدى صحته من الأخطاء الواردة وخاصة المقصودة في بعض الحالات مثل قضية الانتحال، فقد عمد نيكلسون في تناوله لقضية الشعر المنحول على الرواية الشفوية بصفتها الأداة الوحيدة لحفظ الآثار في ذلك الوقت.

خاتمة:

وعليه يمكن القول بأن المدرسة الاستشراقية الإنجليزية التي قادها رينولد نيكلسون تركت تأثيرا كبيرا على الدراسات الشرقية وبالأخص الثقافة الإسلامية. ومن أبرز النتائج الرئيسة لهذه المدرسة يمكن ذكر مايلي:

-تزايد الفهم والتواصل بين مختلف الثقافات.

-استطاعت المدرسة الاستشراقية الإنجليزية تقديم دراسات متعمقة حول اللغات والأدب والتاريخ والفنون في الشرق الأوسط والعالم الإسلامي.

-ساهمت وأسهمت هذه الدراسات في تعزيز التفاهم والتعايش الثقافي بين الشرق والغرب.

-كما ساهمت في تعزيز الحوار الثقافي والاجتماعي بين الشعوب.

-تأثرت الأدبيات والفنون الغربية بالمدرسة الاستشراقية، حيث استقى الكثير من الكتاب والفنانين الغربيين أعمالهم من الثقافة والتراث.

ومع ذلك كله تبقى اسهامات رينولد نيكلسون جزءا هاما من تطور الدراسات الاستشراقية الانجليزية وتأثيرها على التفكير الحديث في مجال الدراسات الشرقية.

¹- ينظر: ابن منظور الافريقي المصري: 1990م، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، ط1، مادة "شرق"، ص: 173.

²- مجد الدين الفيروز أبادي: 1997م، قاموس المحيط، دار احياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ط1، مادة شرق.

³- إسماعيل على محمد: 2014م، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، دار الكلمة، القاهرة، ط1، ص: 9.

⁴- سماعيل ادريس: 2000م، المنهل، قاموس فرنسي عربي، دار الكتاب، الجزائر، ط1، ص: 850-851.

⁵- المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، ط 2003، ص: 765.

⁶- هاشم أبو حسن علي: الاستشراق والاستغراب، مجلة الفلسفة المصرية، كلية دار العلوم جامعة المنيا، عدد 25، ص: 319.

⁷- عبد القدوس الانصاري: 1951، إصلاحات في لغة الكتابة والأدب، (د ط)، ص: 129.

⁸- تركي بن خالد الظفيري: 2015م، الاستشراق عند إدوارد سعيد رؤية إسلامية، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المملكة العربية السعودية، ط2، ص: 83-84.

⁹- أحمد غراب، رؤية إسلامية للاستشراق، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي، Edu cdtional Centre london U.k، (د ط)، ص: 07.

¹⁰- محمد سيف الإسلام بوفلاقة، 2022م، جهود المستشرقين الألمان في الدراسات الأدبية العربية من خلال الجمع والتصنيف، مجلة المداد، جامعة عنابة، الجزائر، المجلد 12، العدد 01، ص: 129.

¹¹- أحمد سما يلوقتش: 1998م، الاستشراق وأثرها في الادب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ص: 27.

¹²- عبد المتعال محمد الجبري: 1995م، الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، ص: 13.

¹³- أحمد سمايلوقتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الادب المعاصر، ص: 28.

- ¹⁴- عبد المعتال محمد الجبري: 1917م، الاستشراق وجه للإستعمار الفكري، مكتبة وهبة، القاهرة، (د ط)، ص: 185.
- ¹⁵- عبد المعتال محمد الجبري، الاستشراق وجه للإستعمار الفكري، ص: 186.
- ¹⁶- محمد فاروق التيهان: 2012م، الاستشراق تعريفه مدارسه أثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، المملكة المغربية، (د ط)، ص: 26.
- ¹⁷- محمد فاروق التيهان، الاستشراق تعريفه مدارسه أثاره، ص: 27.
- ¹⁸- عبد الرحمان بدوي: 1984م، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، ص ص: 416-417.
- ¹⁹- المرجع السابق، ص: 416-417.
- ²⁰- نجيب العقيلي: 1964م، المستشرقون، دار المعارف، مصر، ط3، ج1، ص: 525.
- ²¹- رشدي ضيف: 2020م، عمر عيلان، مكانة الشعر الجاهلي عند بعض المستشرقين، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، العدد 04، ص: 364.
- ²²- رينولد نيكلسون: 1970م، تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة معارف، بغداد، (د ط)، ص: 126.
- ²³- المرجع نفسه، ص: 127.
- ²⁴- المرجع نفسه، ص ص: 127-128.
- ²⁵- إبراهيم عوض: 2017م، مكانة الشاعر في العصر الجاهلي، شبكة الألوكة الأدبية واللغوية.
- ²⁶- رينولد نيكلسون، تاريخ العرب الادبي في الجاهلية وصدر الإسلام، ص: 129.
- ²⁷- عثمان موافي: 1999م، في نظرية الادب، من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي، دار المعرفة الجزائرية، ج1، (د ط)، ص: 69.
- ²⁸- رينلود نيكلسون، تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام، ص: 130.
- ²⁹- المبرد، أبو العباس محمد: 1997م الكامل في اللغة والأدب، دار الكتاب، دمشق، سوريا، ج2، ط2، ص: 606.
- ³⁰- رينولد نيكلسون، تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام، ص: 130-131.
- ³¹- علاء حسين عليوي، سعد عدوان وهيب: 2017م، نشأة الرجز بين الجاهلية والإسلام في دراسات المستشرقين، مجلة ديالي، العراق، العدد 73، ص: 131.
- ³²- رينولد نيكلسون، تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام، ص: 132.
- ³³- المرجع نفسه، ص: 147.
- ³⁴- المرجع نفسه، ص: 157.
- ³⁵- المرجع نفسه، ص: 171.
- ³⁶- المرجع نفسه، ص: 173.
- ³⁷- كارل بروكلمان: 1993م، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، ط5، ج1، ص: 65.
- ³⁸- رينولد نيكلسون، تاريخ العرب الادبي في الجاهلية وصدر الاسلام، ص: 174.

³⁹- المرجع نفسه، ص: 223.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المراجع:

- 1- ادريس سماعيل، (2000م)، المنهل، قاموس فرنسي عربي، دار الكتاب، دمشق، سوريا ط3.
 - 2- أحمد سمائلوقتش، (1998م)، الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة.
 - 3- أحمد غراب، (د، ت)، رؤية إسلامية للاستشراق، سلسلة تصدر عن المنتدى الإسلامي، Edu cdtional، Centre london U.k، د، ط.
 - 4- إبراهيم عوض، (2017م)، مكانة الشاعر في العصر الجاهلي، شبكة الألوكة الأدبية واللغوية.
 - 5- تركي بن خالد الظفيري، (2015م)، الاستشراق عند إدوارد سعيد رؤية إسلامية، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، المملكة العربية السعودية، ط2.
 - 6- رينولد نيكلسون، (1970م)، تاريخ العرب الأدبي في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة معارف، بغداد.
 - 7- كارل بروكلمان، (1999م)، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، ج1، ط5.
 - 8- المبرد أبو العباس محمد، (1997م)، الكامل في اللغة والأدب، دار الكتاب، دمشق، سوريا، ج2، ط2.
 - 9- محمد الجبري، عبد المتعال، (1995م)، الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1.
 - 10- محمد فاروق التهان، (2012م)، الاستشراق تعريفه مدارسه أثاره، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، المملكة المغربية.
 - 11- المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دارالمشرق، ط 2003.
 - 12- ابن منظور الإفريقي المصري، (1410هـ/1990م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، المجلد 10، ط1.
 - 13- عثمان مواتي، (1999م)، في نظرية الأدب، من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي، دار المعرفة الجزائرية، الجزائر.
 - 14- علي محمد إسماعيل، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، دار الكلمة، القاهرة، مصر. (د، ت).
 - 15- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، (1998م)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: عبد الحميد هندواي، وزارة الأوقاف السعودية.
 - 16- الفيروز آبادي محمد بن يعقوب مجد الدين الشيرازي، (1417هـ/1997م)، قاموس المحيط، دار احياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط1.
- ثانياً: المجلات:
- 17- أبو حسن علي هاشم، (2000م)، الاستشراق والاستغراب، مجلة الفلسفة المصرية، كلية دار العلوم جامعة المنيا، العدد 25.
 - 18- حسين عليوي. سعد عدوان وهيب، (2017م)، نشأة الرجز بين الجاهلية والإسلام في دراسات المستشرقين، مجلة ديالي، عدد 73.

-
- 19- رشدي ضيف، عمر عيلان، (2020م)، مكانة الشعر الجاهلي عند بعض المستشرقين، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، العدد 04.
- 20- محمد سيف الإسلام بوقلافة، (2000م)، جهود المستشرقين الألمان في الدراسات الأدبية العربية من خلال الجمع والتصنيف، مجلة المداد، جامعة عنابة.
-